



شهرزاد في التشكيل والرسم

محمد محمود فايد / مصر

بالخيال، ومَن يقرأها باعتبارها خيالاً سيحدها تحفل بالمضامين التاريخية. وإذا كان التاريخ، يحمل لنا الواقع أو جزءاً منه، فإنَّ حكايات ألف ليلة، تحمل لنا جانباً غير ملموس أو غير مادي من ذلك الواقع التاريخي نفسه. لذلك، يصعب الفصل بين التشكيل، وحكايات "ألف ليلة وليلة". لأنَّ الثابت بينهما، التصوير والرسم، على الرغم من اختلاف أدواتهما الفنيّة؛ حيث يصدر كلا الفنين -التشكيل والحكاية- عن الملكة الإدراكيّة نفسها. فضلاً عن وجود رابط كبير ودائم بينهما؛ لأنَّ الفنان، والقاص يكونان على الدرجة نفسها من التقارب والالتحام، فيتشابهان في الكثير من الأمور، مثل: المجال النفسي الذي ينبعان منه، ويؤثّران فيه ويتأثّران به. فالفن، رؤية تعتمد على إعادة تشكيل الظواهر والعناصر التي تحدث في الواقع، والقدرة على صياغة أفكارها والتعبير عنها، بشكل يتجاوز الرتبة والاعتیاد، ويقفز إلى آفاق من الإبداع، ومحاولة تقديمه مشحّصاً باعتباره إعادة

يَرْتَبِطُ مفهوم الحكاية بالتراث الشعبي، حيث تحمل، شأنها شأن السيرة الشعبيّة، ما يمكن أن نسميه التفسير النفسي أو الوجداني للتاريخ. ويعتبر هذا في الحقيقة بمثابة، تعويض نفسي يلجأ إليه الفنان الشعبي لكي يتجاوز الواقع بحدوده الزمانيّة والمكانيّة، صوب اللا محدود زماناً ومكاناً، لي طرح للناس ما تحتاجه عقولهم وعواطفهم من تعويض.

وهكذا يقتبس الفن الشعبي حدثاً تاريخياً، أو بطلاً من أبطال التاريخ، فيعيد صياغته بشكل تعويضي، ثم لا تلبث الأحداث التاريخيّة أن تتوارى خلف تراكمات الخيال التي تصنع متنقّساً حقيقياً للمشاعر الشعبيّة. وعلى الرغم من أنّ التاريخ قطع رحلة طويلة في رحاب الزمان كي يتخلّص من شوائب الانحياز، فإنَّ المآثورات الشعبيّة، ومنها حكايات "ألف ليلة وليلة"، احتفظت بقيمتها وأهميّتها باعتبارها أحداثاً تاريخيّة يغلفها الخيال. لذا، يمكننا القول إنّ مَن يقرأ الليالي باعتبارها تاريخاً، سيحدها تحفل



فتشاركها القيم والعناصر التشكيلية الساحرة نفسها .
تأثر قاص "ألف ليلة وليلة" بفنون التشكيل والرسم، فاتجه نحو حكايات بصرية، تأثر بالحضارات المجاورة واستلهم العديد من الصور واللوحات والمنحوتات في قصصه. وارتقى القاص إلى مرتبة الفنان التشكيلي والرسام، فرسم لوحاته وشكل منحوتاته بالكلمة، واستمد من فنون التشكيل تفاصيلها اللونية والأيقونية والدلالية. مما أثرى "ألف ليلة وليلة" بالكثير من القيم التشكيلية، والأصول الفنية والأساليب التعبيرية، التي لطالما استلهمها الفنانون، غرباً وشرقاً، في معالجاتهم وصياغاتهم لعلاقات الواقع بالخيال، وللحالات الشعورية التي تعكسها تعبيراتهم ورسوماتهم وتشكيلاتهم

إنشاء/ خلق، وصياغة جمالية، بالاعتماد على الرموز والصور التعبيرية وما إلى ذلك، مما يمكن من خلاله، أن يتمثل المبدع، سواء التشكيلي أو القصاص، هذا العالم ويقراه قراءة فنية تحاكي الطبيعة. ليأتي الفنان، على هذا النحو، منبثاً بالانفعالات النفسية، ويشي بالأمان العاطفية والقيم المجتمعية أمام حدثٍ ما، أو شخصية ما أفرزها التاريخ على أرض الواقع.
في هذا السياق، يأتي نص الليالي لقريحة المبدع التشكيلي أو الأدبي، لبحث من خلاله، عن أسس العلاقات ما بين النص الحكائي، ونظيره التشكيلي. إضافة لما يستند إليه المبدع من رؤية في استلهامه للقيم والعناصر التشكيلية، فتأتي شخوصه ورموزه وعناصره الإبداعية الوليدة، بشكل لا ينفصل عن خيط الحكايات الساحرة،



◀ شهرزاد بريشة الفرنسية صوفي أندرسن

المختلفة، وعلاقة تلك التعبيرات والصياغات بالمعايير الفنيّة النوعيّة التي تتفرد بها "ألف ليلة وليلة" إضافة للغتها التصويريّة، وخيالها الجامح.

يقول د.مصطفى الرزّاز في دراسته "خيالات الفنان في ألف ليلة وليلة": "لعلنا نتصوّر حال مؤلّفي الليالي على اختلافهم، وموقفهم من فنون الرسم والنحت والتصوير التي كانت محاصرة في تلك الفترة ومخفيّة عن الأنظار، تعاني نوعًا من الحظر خوفًا من شبهة الشرك". الأمر الذي أدّى معه ذلك القمع والكبت، إلى ظهور تلك الفنون والتعبير عنها نثرًا، من خلال نصوص الحكايات، مختزلاً بتقنياته كل الفنون والتشكيلات والمنحوتات والجداريّات المصوّرة والملوّنة،

مثل: قصور خربة المفجر وعميرة بوادي الأردن؛ وكل مرثيّاته لفنون الفراعنة والساسانيين والروم والصينيين، ممّا ألهب الخيال التصويري لقاص الليالي، وزوّده بأفكار مهمّة وتقنيات لازمة لتصوّر التماثيل المتحركة، كالفارس المطلسم حارس المدن، الذي يصيح إذا ما اقترب عدو من أسوارها، وغيرها من الفنون المتعددة بالغه الخيال، حيث يتداخل الفيزيقي بالميتا فيزيقي تمامًا. فوظف المنحوتات السالفة، في حكايات مثل "مدينة النحاس"، والأحجام المبالغ فيها، في الحوت أو (الجزيرة الطافية) في حكاية سندباد، وفي الرخّ الذي يلقّم أفراخه الأقيال، والحية البلوريّة التي تتوسّط طبق الذهب بوجهها الآدمي.

ولم يكن انعكاس تلك الفنون المرثيّة على تصوّراتهم، مجرد افتراض شارد، بل تؤيده كتابات الرحالة والجغرافيين التي امتلأت بالعديد



◀ نافورة مصباح الدين - ساحة الفتح - بغداد -

محمد غناي حكمت

العالمية، فلم يكن من الغريب أن يطوّروا إبداعاتهم في التشكيل والرسم والكاريكاتور عبر فقه نصوصها وعوالمها؛ فكثرت أولاً الرسوم التزيينية والتوضيحية التي رافقت طبعاتها لمئات الفنانين؛ وفي محفوظات المكتبة الوطنية بباريس عدة رسوم تمثل نماذج من الليالي، منها: "الجارية"، "امرأة من الحرير". إضافة لاستلهام موتيفاتها في تصميمات الأزياء والأثاث والأواني والعمارة والزخرفة الداخلية وتنسيق الحدائق والحليّ والآلات الموسيقية والشمعدانات والسجاجيد والمشربيات.



◀ شهرزاد تحكي - كيب راسموس نيلسن

أبداع الفنان "دي لاكروا" لوحات، مثل: "المهراج العربي"، "معركة عريية"، "فارس عربي يلعب

من منجزات البلدان التي وصفها ياقوت الحموي والقزويني وابن بطوطة والإدرسي، وغيرهم. لقد امتلك قاص الليالي من الوعي التشكيلي ما عمق وأثرى نصوصه الأدبية، على الرغم من أنه لم يعبر سوى بالكلمة، عما أراد توصيله شفاهة أو تدويئاً. ولم تكن قصصه مجرد أداة تفريريّة مباشرة، بل كانت ذات قيم وعناصر تشكيليّة في المقام الأول، دلالة على مدى خصب مخيلته، وثرأ نصوصه.

وكما أمسك مبدعو الليالي بفرشاة الرسام، فإنّ المصورين الذين استلهموها، يرسمون بخيال أولئك الذين أبدعوا الليالي. لذلك يرى "جيرت جيلدر" في "موسوعة ألف ليلة وليلة"، أنّ العنصر البصري "تمّ نقله ذهنياً من الليالي في العصر ما قبل الحديث، من خلال التشبيهات، والاستعارات التي تضمّنتها مقطوعات الشعر". ويؤكد "جون باين"، الموازة القائمة، بالفعل، بين هذه الأشعار، وفنون التشكيل والرسم. ممّا ألهم التشكيليين والرسامين غرباً وشرقاً.

شهرزاد ترحل غرباً

فتنت شهرزاد الفنانين وألهمتهم أعمالاً رائعة أثرت تراث الإنسانية، وفي الوقت نفسه ظلّت مثلاً للجمال الشرقي والمعرفة والحكمة والذكاء، بعد أن بدت لهم شهرزاد أسطورة، فاستوحوا من شخصيتها أجمل اللوحات، وحتى الآن لم تزل منبعاً للإلهام والإبداع. ومن يتأمل لوحات الليالي سيدرك أهمية توظيف نصوصها المكتوبة بسخاء، عند كبار فاني الحركة التشكيليّة



◀ نصب شهريار شهرزاد
- محمد غنّي حكمت- البصرة

الدانمركي "كي نيلسن" (1886م-1957م) فخصّها بلوحة وهي تحكي لشهريار، ورسم عشرين لوحة في الفترة من 1918-1922 لتزيين مجلداتها. من الطبقات النادرة المرسومة لليالي، طبعة دار المعارف بأجزائها الاثني عشر التي رسمتها النمساوية "أستيلا بونكز". وفي أواخر 2014 صدر كتاب يضم 50 لوحة من 100 لوحة لـ"سلفادور دالي" منذ نصف قرن، لأحداث الليالي معالجًا موضوعات جنسائية وأيروتيكية.

شهرزاد تعود شرقًا

في منتصف سبعينات القرن العشرين، نحت غني حكمت نصب "شهرزاد وشهريار" كشاهد أبدي على شهوة الفن للحياة، وشهوة الحكاية للتجدد في بغداد. وفي البصرة، أبدع قيس عبدالرازق العمر نصب "السندباد البحري" من الواقعية

على جواده"، "نساء الجزائر". ولـ"بيكاسو"، لوحة "الديك الشرقي"، ويبدو فيها متحفّرًا، مطلقًا صياحه رمزًا للصحة من حلم شهرزاد. ومن أجواء الليالي استوحى "رينوار" (-1841 1919م) رائد الانطباعية، و"ماتيس" (-1869 1954م) رائد الوحشية، و"دي كامب"، أجمل لوحاتهم. واستوحى "فان دونجن" لوحته "راقصة شرقية". وشكّل "إنج تيسيه" من شخصيته شهرزاد لوحات مشعّة بالألوان. واستلهم "جيروم" (1824م-1904م) الليالي في لوحاته "سوق الرقيق"، "حمام الحريم"، "امرأة شرقية". وتأثّر الأميركي "روبرت جيفورد" (1840م-1905م) بحكاية "السندباد البحري" عن حادثة كسر بيضة الرخ، فأبدع لوحته "بيضة الرخ". وأبدع الرسام "ج. فورد" لوحته "التاجر والعفريت" ضمن لوحات توضّح الحكايات حفرًا. ومن الرسامين الذين وقعوا في غرام شهرزاد



◀ نصب السندباد البحري بالبصرة ساحة
الطيران للفنان قيس عبد الرزاق
أسمنت + حديد مسلح

مستمدّة منها تراثاً جماليّاً ومعنويّاً متجذراً في الذاكرة العربيّة الجزائريّة، من خلال 23 لوحة تعكس بصمتها التشكيليّة وتقنياتها الفنيّة باستخدام الفينيل.

وفي سورية أبدع سعد يكن ثلاثين لوحة تعيد صياغة الليالي. وفي العراق، سرد حسن علوان حكايات من الليالي، حيث تقوم لوحاته على الخيال الأسطوري. كما أبدعت العراقيّة وداد الأورفلي لوحات تروي قصص الليالي بأسلوب متميّز وخاص يربطها ببيئتها البغدادية. وللفنان القطري عبدالعزيز يوسف 20 لوحة تحكي الليالي. وفي الكويت، أبدع خالد النمّش مجموعته التشكيليّة "الإبحار على خطى أبناء السندباد". وللفلسطينيّة منال ديب مجموعة لوحات "عودة شهرزاد" التي قدّمت فيها المرأة برؤية جماليّة فنيّة سردية ■

التعبريّة. وفي مسقط يوجد النصب التذكري "السفينة صحر سفينة السندباد".

في الكويت تجسد "قرية الرمال" حكايات الليالي بمنحوتات رملية، صمّمها 73 نحّاتاً عالمياً، المنحوتة الرئيسيّة قلعة بارتراف ثلاث طوابق، تتخللها نافورة مائيّة تخرج منها "مؤثرات ناريّة" أثناء الحكي. أمّا اللوحات التعريفية والتوضيحية الخاصة بعرض حكايات الليالي، فتمكّن من التعرّف على أدقّ التفاصيل المرتبطة بحكاية كل مجسّم. تحتوى القرية على أكثر من 70 منحوتة. ومن أجواء حكاية "علي بابا والأربعين حرامي"، استلهم تشكيل في لمغارة، على النمط نفسه بماكينات ونماذج تحاكي ذهبها وياقوتها ومرجانها. وللفنان الجرافيكّي عوض الشيمي تجربة مهمّة في استلهم فولكلور الليالي. وفي الجزائر، افتتحت حياة كونه أول معارضها الاحترافية "ألف لون ولون" عام 2013، حيث أنكّأت على الليالي،